ANTOINE NASRI MESSARRA

في ذكرى سليم حيدر، 1911–1980
الاثنين 2024/7/15، 16،00 – 18،00
المكتبة الوطنية

سليم حيدر
الفكر الموسوعة والرؤيا الثقافية والتربوية
التطبيقية والمستقبلية للبنان
أنطوان مسرّه*

لا أتكلم عن مزايا وعلم ورُقي مواقع سليم حيدر. الأمجاد البشرية زائلة. ما يهم وما يبقى ليس التباهي والثقافة وتعظيم أنانية الذات، بل العطاء للوطن والمجتمع وللمستقبل.

تستوقفني عطاءات سليم حيدر ورؤيته الثقافية والتربوية التطبيقية والمستقبلية في الواقع اللبناني بالذات، كل ما يتوجب العمل عليه مستقبلاً. انه الواقع الذي يجمعنا اليوم انتقالاً من لبنان الساحة والساحات إلى لبنان الوطن والمعنى والرسالة، لبنانيًا وعربيًا وعالميًا. هذا ما نسعى العمل عليه.

وردت في وثيقة الوفاق الوطني–الطائف خطة النهوض التربوي التي عملنا عليها في السنوات 1996–2002 بقيادة البروفسور منير أبو عسلي. ثم أجهدت لاعتبارات لا علاقة لها بالتربية. هذا ما نعمل عليه حاليًا في سياق "الإطار العام للتعليم ما قبل الجامعي" الذي أعلن في السرايا الكبير في 2022/12/15.

1
رسالة لبنان تجاه ظواهر لبنانية مرضية مزمنة

عنوان محاضرة سليم حيدر في الندوة اللبنانية: "التعمير من الأساس يبدأ من المدرسة" (1949/1/17). نحن بحاجة بعد كوارث لبنان إلى إعادة تأهيل اللبناني وإلى "تعمير من الأساس". يعني سليم حيدر "بالتعمير من الأساس" ليس قطعًا تقويض الثوابت اللبنانية، بل العمل على ترسيخها ونقلها إلى الأجيال الجديدة. تندرج محاضرة سليم حيدر في إطار برنامج الندوة اللبنانية بعنوان: "إعادة تعمير البيت اللبناني". يقول:

"تعالوا نربي الجيل، فلن يصلح لبنان **ما لم يَصلح الشعب اللبناني (...) لنجابه الأمور بكل صراحة (...) والأساس هو المدرسة** (...) في سياسة المدرسة (...). **لم يعد من حَرَج أن ندعو الأشياء بأسمائها** (...). لن أنصّب نفسي هنا مربيًا (...) لبنان واسع على صغر مساحته (...). إن لبنان بحدوده الحاضرة كيان حقيقي يمكن أن يعيش ويجب أن يعيش والايجابيات عمومًا تستند إلى التاريخ والدين واللغة والتربية، إلى جميع العناصر القومية (...). ماذا يجب أن نعمل لنحافظ على الجميع فنعيد إلى الحظيرة من اعتقدوا واعين أو مأخوذين، بوجوب تركها. نحن لا نريد أن نفقد من لبنان لبنانيًا واحدًا (...). **لبنان بلد عربي** (...). لبنان بلد عربي انساني (...). أين نربي اللبناني؟ من المدرسة اللبنانية (...). البيت اللبناني لا أقول أن أساسه المدرسة، بل أقول أنه هو هو المدرسة (...). هيا نؤلف في تاريخ لبنان، على ضوء مفهوم لبنان (...) يدرس التلميذ جهاز الدولة التي هي دولته، ودستورها السياسي وميثاقها القومي، وطابعها الروحي (...). أستخلص الهدف اللبناني من الواقع اللبناني (...). **هذا العمل يتطلب التفكير الناضج والاستفتاء والمناقشة."**

في مذكرة مرفوعة إلى لجنة التخطيط التربوي في 1963/4/21 يركّز على "دراسة المصطلحات".
وفي محاضرة في الندوة اللبنانية: التعليم في خطر" في 1954/2/15 يقول:

"**ولِمَ لا نتصارح؟** نحن مؤمنين بالتراث الاجتماعي الزاخر وبوجوب المحافظة على التقاليد الصالحة (...). الدولة ليس من شأنها أن تعلّم، وإنما من شأنها أن تراقب سير التعليم بواسطة مفتشيها (...). المنهج عندنا حفظ لبعض شؤون الحياة والمنهج المُجدي تفهم للحياة واستعداد لمواجهتها (...). المدرسة، المنهج، الكتاب، المعلم، مقوّمات التعليم الأربع (...). أيبقى المنهج وسيلة لحشو ذاكرة؟ (...). لكن التعليم في خطر، إذا فهمنا التعليم تكون دولة".

في محاضرة في عيد المعلم في اليونسكو:

"طغى الجهل... في بدء الخليقة..."

في محاضرة في الندوة اللبنانية: "إنماء الثقافة في لبنان" في 1853/3/31 يقول:

" أما الثقافة فكلمة لم يُقرر بعد معناها نهائيًا (...). كيف يكون إنماء الثقافة؟ (...) **الثقافة زراعة، زراعة مستمرة، زرع وحصاد، ثم زرع مما قد حصد** (...) وكيف نفكر بإنماء الثقافة في لبنان ولا نفكر بصحة لبنان أولاً، **وبتركيب جسمه، وبتطوّر نموّه، وبدوران الدم في شراينه، وبحركة سكّانه (...) الايمان بالعقل أداة التفهم الأولى".**

في محاضرة في مطلع 1976 بعنوان: "الأسئلة الأربعة" يقول:

"من المسؤول عن فقدان الثقة (...). لبنان الجديد يجب أن يكون انصهارًا وطنيًا، لا تسوية فيه ولا توازن بين فئات ولا ميزان إلا ميزان العدل ولا امتياز إلا امتياز الجدارة (...). يجب على الدولة بجميع مؤسساتها أن تنهض من كبوتها".

في محاضرة في 1973/11/22: "عامنا الثلاثون" يصف هكذا لبنان:

"لبنان بكامل أوصافه، **لبنان اللبناني، ولبنان الفلسطيني، ولبنان العربي، ولبنان الإنساني، لبنان القضية الكبرى (...). أية مراحل قطع لبنان في طريق الاستقلال الطويلة؟ (...) المشاكل اختصرها بثلاثة رئيسية: الطائفية السياسية، الاستهتار بالقانون، الارتجال (...). أُشدد على كلمة السياسية (...).** تواجد الطوائف شيء والطائفية السياسية شيء آخر (...). ماذا فعلنا، منذ ثلاثين عامًا، لتكون الوحدة الوطنية فعلاً ماثلاً، لا أنشودة كلمة؟ (...). لم نعمل شيئًا جذريًا لإرساء قواعد الوحدة الوطنية الصحيحة (...). لا أحد في لبنان يحترم القانون إلا مكرهًا (...). كلهم جميعهم شعراء زجل في حلقة مفاخرة! (...). لبنان الأنشودة سيصبح لبنان الفعل، كيانًا وحضورًا وحضارة. كل المقوّمات كامنة فيه (...). من تحديات العصر، ومن تحدٍ لإسرائيل، ومن صميم رجولته سيستل لبنان إرادة الفعل".

وأتوقف على كتابات سليم حيدر حول التشريعات والمجلس النيابي. في محاضرة سنة 1969 "السلطة التشريعية في لبنان: حاضرها ومستقبلها" يقول:

"حاضر السلطة التشريعية في لبنان سيء جدًا. والأخطر من ذلك أنه يسير من سيء إلى أسوأ (...). هذه الظاهرة الخطيرة: طغيان السياسة على التشريع في المجلس النيابي، ما أسبابها؟ (...) العقم آت من عدم احترام **مبدأ فصل السلطات، بفعل السلطة الإجرائية ايجابًا، وبفعل السلطة التشريعية نفسها سلبًا**".

في محاضرة: نائب الأمة جمعاء" سنة 1971 يقول:

"اتفاق جميع اللبنانيين على المبادئ (...). **إن السلطة في جميع المحن التي تمر على لبنان مفقودة (...). نحن منذ وضع الدستور نعيش برلمانيًا في خلاف مع نص الدستور وروحه".**

2

"التعمير من الأساس":
علم النفس التاريخي والذاكرة ومثاقفة الدولة

يتطلب "التعمير من الأساس" في لبنان لا الانجراف في سجالات إصلاحية ينتجها "ورّاقون"، حسب تعبير لوضاح شراره خلال سنوات الحروب المتعددة الجنسيات في لبنان في السنوات 1975-1990 لإلهاء الناس عن الجوهر، بل العمل بجدّية على النقد الذاتي.

1. من هم العلماء في الشأن اللبناني libanologues؟ ما يُعيق فهم لبنان:
أيديولوجيون في البناء القومي لم يتطلعوا على الدراسات العالمية المقارنة منذ سبعينيات القرن الماضي،
وأيديولوجيون في الحداثة لم يتطلعوا أيضًا على سياقات الإدارة الديمقراطية للتعددية الدينية والثقافية وانطلاقًا من التراث العربي والإسلامي بالذات،
ومثقفون بدون خبرة يعانون من اغتراب ثقافي بشأن البنية اللبنانية فيزعزعون شرعية légitimité البنيان اللبناني في الادراك الجماعي ويلتقون مع أيديولوجية صهيونية في اعتبار لبنان "خطأ تاريخيًا وجغرافيًا"!

2. ما هي في علم النفس التاريخي البنيات الذهنية المُعيقة لامكانية إدارة لبنان؟

- "قولنا والعمل" في النشيد الوطني.
- المعليشية: معليش، بيناتنا، شو فيها، مشيّها، ما تحمل السلم بالعرض، طرّيها... والمساومات في السيادة والمصلحة العامة.
- إدراك الدولة لجهاز خارجي وبالتالي الحاجة الى **مثاقفة الدولة**.
- **ذاكرات مشتتة** وبالتالي كتابة تاريخ علمي واقعي.

ما هي الأولويات – في الثقافة المواطنية لبنانيًا؟

- قولنا والعمل
- ثقافة القانون
- الشأن العام الذي يعلو على الانتماءات الأولية transcommunautaire
- ذاكرة جماعية رادعة
- مثاقفة الدولة التي هي الضمانة لوحدة المجتمع والسلم الأهلي الثابت.

3. ما هي الأولويات دستوريًا؟

- السيادة أولاً
- المادة 49 من الدستور: "رئيس الجمهورية هو رئيس الدولة، يسهر على احترام الدستور".
- السلطة "الإجرائية" (الفصل الرابع من الدستور اللبناني) ضمانة لمبدأ الفصل بين السلطات.
- لا يوجد شيء اسمه "نظام طائفي. مواد الدستور اللبناني": 9، 10، 19، 49، 65، 95 تندرج في النظرية الدستورية العالمية في إطار

نظرية التعددية الحقوقية pluralisme juridique
والإدارة الذاتية الحصرية fédéralisme personnel / autonomie personnelle
وقاعدة التمييز الإيجابي discrimination positive

وهي قواعد مطبّقة اليوم في أكثر من ثلاثين نظام دستوري بأشكال متنوّعة ومعيارية.
أما التطبيق في لبنان فهو الأسوا عالميًا.

***

سليم حيدر **ملحمة الخليقة**، الشركة العالمية للكتاب، 2001، 360 ص.
___، **يا نافخ الثورة البيضاء، شعر**، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، 2016، 90 ص.
___، **مواقف وآراء سياسية**، 1969، 100 ص.
مهرجان العدالة في وداع سليم حيدر، (شعر)، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، 1946، 40 ص.
___، التعمير من الأساس يبدأ من المدرسة، الندوة اللبنانية، 1949/1/17.
___، إنماء الثقافة في لبنان، الندوة اللبنانية، 1953/3/31.
___، التعليم في خطر، الندوة اللبنانية، 1954/2/15.
___، أتيناك في عيد المعلم، عيد المعلم، اليونسكو، 1971.
___، عامنا الثلاثون، 1973/11/22.
___، الأسئلة الأربعة، 1975-1976.
___، نائب الأمة جمعاء، 1971.
___، مذكرة مرفوعة إلى لجنة التخطيط التربوي، 1963/4/21.
___، السلطة التشريعية في لبنان: حاضرها ومستقبلها، 1969.

***

يقول عالم الرياضيات الفلسطيني قدري حافظ طوقان سنة 1950 في كتابه: **بعد النكبة**: أن الأعداء يحاولون القضاء على العرب بأسلحة العلم والتنظيم "ونحن نقاومهم بأسلحة الجهل والفوضى والغرور" مبتعدين عن الأسلوب العلمي وعن ركب الحضارة فكانت الهزيمة حتمية، ودعا الى تغييرات أساسية في مناهج التعليم وأساليبه وأن يسلم العرب أمورهم للعقول العلمية.

ونلاحظ في كتابات قسطنطين زريق ووليد الخالدي بصورة خاصة في العقدين الذين تليا "النكبة" منحى تثقيفيًا وتربويًا توعويًا لادراكهما أن الصهيونية وإسرائيل تفرضان على العرب صراعًا لا يقتصر على السلاح والحروب العسكرية بل هو أولاً وفي الأساس صراع على مجالات الثقافة والعلم، الحضارة والهوية.

ما يحتاجه العرب هو الفكر التطبيقي الذي يقيم التوازن بين الهدف والوسيلة.

وليد الخالدي، "الصراع العربي الصهيوني وأبعاده العربية والدولية"، **المستقبل العربي**، تشرين الثاني/ نوفمبر 1987، ص 18-19.

نكبة 1948: أسبابها وسبل علاجها، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، 2009 (بخاصة دراسات قسطنطين زريق وجورج حنا وموسى العلمي وقدري حافظ طوقان).

محمود درويش، **ذاكرة للنسيان**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1987.

دور لبنان في محيطه العربي، النادي الثقافي العربي ودار النهار، بيروت، 1993.

سمير مقدسي، "التنمية من دون الديمقراطية أسباب العجز في العالم العربي"، النهار، 2009/12/7.

محمود سويد، "دور بيروت الريادي في الوعي العربي للخطر الصهيوني"، في كتاب: **بيروت رائدة الحريات في الشرق**، أعمال المؤتمر الوطني في 5-2009/11/7، الحركة الثقافية انطلياس بالتعاون مع وزارة الثقافة، 2009، 530 ص، ص 253-275.

أمين الريحاني، **الأعمال الكاملة**، المجلد الثامن، القوميات، جزء 21، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1983.

وليد الخالدي، **فلسطين وصراعنا مع الصهيونية وإسرائيل: مجموعة مقالات ومحاضرات 1975-2009**، النادي الثقافي العربي ومؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، 2009.

أنطوان الدويهي، "معنى التاريخ في القرون الأربعة الأخيرة: نظرة الى الخصوصية اللبنانية"، **ملحق النهار**، 2009/11/15.

أنطوان نصري مسرّة

<u>ملاحظة</u>: يمكن مشاهدة وقائع الندوة على موقع يوتيوب Utube على العنوان التالي:
الدكتور سليم حيدر: "سليم حيدر الدولة والنظام"